السنة: التاسعة المجلد: 09 العدد: 01 ص ص: 210- 233
EISSN 2676-1645 ISSN 2543-375X

تعزيز مفهوم " الفضاء الرابع " وتطبيقاته بمكتبات المطالعة العمومية الجزائرية ما بعد كوفيد 19: المكتبة الرئيسية للمطالعة العمومية لولاية أدرار نموذجا

Promoting the concept of "Fourth Space" and its applications in the Algerian public reading libraries post-Covid-19: the main public reading library for the wilaya of Adrar as a model

دموش أوسامة*، جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس
demouche31@hotmail.fr

تاريخ الاستلام: 19/07/2023 تاريخ القبول: 10/01/2024

ملخص:

تمر المكتبات العمومية الجزائرية بنفس القيود التي تعرفها المكتبات في العالم إثر تفشـــي جائحة كوفيد **19**، والتي تجعلها أمام حتمية إعادة التفكير في الشـــكل والصـــيغة التي تقدم بها خدماتها في البيئة الرقمية. يلجأ القائمين على المكتبات عادة، ومجتمع البحث المشـــتغلين في حقل المكتبات والمعلومات دائما إلى التجارب الدولية الناجحة والرائدة لتطوير وابتكار الخدمات الرقمية، وكذلك لحل الأزمات والمشـــاكل التقنية التي تمر بها هذه الفضـــاءات. يأتي مفهوم الفضـــاء الرابع في ســـياق هذه الجهود الموجهة لترقية مكانة وخدمات المكتبات الجزائرية، حيث نحاول الوقوف من خلال هذه الورقة العلمية على خصـــائص ومكونات هذا النموذج الجديد، وتحديد بعض المؤشـــرات والقرائن التي تبرز ملامحه، لنقوم على هذا أســـاس بتقريب خدمات المكتبات العمومية الجزائرية من منطق وفلســـفة الفضـــاء الرابع، وقد تم العمل والتركيز في هذا

* المؤلف المراسل

السـياق على تجربة المكتبة الرئيسـية للمطالعة العمومية المجاهد المرحوم الهاشمي قويدر لولاية أدرار وذلك للمكانة التي تحظى بها في سياسة السلطات الوصـية الموجهة لعصـرنة ورقمنة شـبكة المكتبات، وكذلك لما تقدمه هذه المكتبة من مشاريع ابتكارية ريادية، وخدمات رقمية

تشـير نتائج هذه الدراسـة إلى أنه لا يوجد إرادة سـياسـية قوية لنشـاط هذه المكتبات في الفضاء الرقمي، إذ لا نجد مشاريع رقمية حقيقية مع عودة نشاط هذه المكتبات في الفضاء المادي ما بعد كوفيد **19**.

الكلمات المفتاحية: المكتبات العموميّة - الفضاء الرابع - المكتبات الرئيسية - كوفيد-19 - الجزائر.

Abstract:

Algeria's public libraries are experiencing the same limitations as other libraries worldwide following the outbreak of COVID-19 pandemic. This reality makes them obliged to rethink the form and format of their services in the digital environment. Librarians and the research community working in the field of libraries and information always resort to successful and pioneering international experiences to develop and innovate digital services, as well as to solve the crises and technical problems experienced by these spaces.The concept of the fourth space comes in the context of these efforts aim at promoting the status and services of Algerian libraries. In the present research paper, we attempt to investigate the characteristics and components of this new model, by identifying some of the indicators and evidence that highlight their features, in order to bring Algeria's public library services closer to the logic and philosophy of the fourth space. In this context, work and focus have been placed on the experience of the Principle Library of Public Reading, Moujahid El-Hashemi Kouidar of the Wilaya of Adrar, because of the place it enjoys among the local authorities to modernize and digitize the library network as well as for the Library's innovative pilot projects and advanced digital services. The findings of this study indicate that

there is no strong political will for the activity of these libraries in the digital space, as we do not find real digital projects with the return of the activity of these libraries in the physical space after Covid-19.

Keywords: Public libraries, Fourth space, Principle libraries, COVID-19, Algeria.□

مقدمة:

تشـــهد المكتبات العمومية تحولات مفاهيميّة ونموذجية تفرضـــها الثورة الرقمية والتحول الرقمي، حيث تجاوزت كونها مســـــتودعا للوثائق ومكان للبحث والقراءة إلى فضـــــاء إجتماعي يصـــــل الفاعلين الإجتماعيين، باللقاء والتحاور، وتبادل التجارب، والتعاون وإيجاد حلول لما يمكن أن يكون قد إســتعصــى من القضــايا. في هذا الإطار بدأت المكتبات تندرج ضــمن ســياق مفاهيمي جديد أطلق عليه بالفضــاء الثالث بعد المنزل والعائلة (الفضــاء الأول)، ثمّ العمل والحياة المهنيّة (الفضـــــــــاء الثاني)، لتكون مركز مثاقفة محوره الإنســان، لنمر بعدها إلى مفهوم " الفضــاء الرابع " الذي يرســخ الحضــور المرئي لهذه المؤسسات في الفضاء الرقمي، ويُبقي على الأدوار التي تأسست وبنيت عليه فلسفة هذه الفضاءات باعتبارها بوابات ومنافذ للمعلومات، والمعرفة، والثقافة.

قد يكون تجســيد هاذين النموذجين للمكتبات العمومية خاصــة بالنســبة للمجتمعات العربية معقد، ويصـــــــــطدم في الكثير من الأحيان مع تمثلات وتصـــــورات القائمين على هذه المكتبات، والذين يحاولون دائما التمســـــك بتجاربهم الخاصة والدفاع عنها في ظل عدم قدرة مجتمع الباحثين على اقناعهم، أو الترويج لهذه النماذج التي لا تزال في نظرهم نظرية.

تعيد جائحة كوفيد 19 فتح باب النقاش مرة أخرى على المســـــتوى المهني والأكاديمي حول مكانة وتموقع المكتبات العمومية في الفضـــــاء العمومي، حيث أدى الغلق والتباعد الاجتماعي الذي طال هذه الفضاءات إلى التساؤل حول أهميتها الاجتماعية كفضـــــــاء ثالث يلجأ إليه الأفراد والجماعات من أجل التنشئة، والتنمية، والتثقيف، والترفيه، كما فرضت علينا هذه الجائحة منطق الفضـــاء الرابع الذي وضـــع هذه المكتبات أمام عبء اتاحة المعلومات وجميع

موارد التعلم عن بعد، أو في الطريقة التي تقدم بها عروضها، ونشاطاتها، وبرامجها الثقافية المتنوعة للمواطنين خلال فترة الحجر الصحي، وهو فعلا ما نحاول الوقوف عليه من خلال هذه الورقة العلمية التي تبرز خصائص هاذين النموذجين ومدى تكاملهما، ثم البحث في تجربة المكتبة الرئيسية للمطالعة العمومية المرحوم الهاشمي قويدر بولاية أدرار أثناء وبعد جائحة كوفيد 19 وذلك نظرا للمكانة التي تحظى بها في قيادة مشاريع تشبيك وعصرنة الخدمات الرقمية بمكتبات المطالعة العمومية الجزائرية، لنحاول بذلك معرفة ما إذا كانت هذه التجربة ترتقي الى مستوى النموذج الجديد الذي يطلق عليه مفهوم " مكتبات الفضاء الرابع ".

مشكلة الدراسة:

نحاول من خلال مشكلة هذه الدراسة الوقوف على النموذج الجديد للمكتبات الذي يوصف بـ " الفضاء الرابع " داخل المجتمعات الغربية، وكيف كان لجائحة كوفيد 19 أثر في تعزيز هذا النموذج وممارساته داخل المجتمعات العربية كافة، والجزائر تحديدا. لتدعيم طرحنا بشكل علمي ومنهجي داخل مجتمع المكتبات العمومية الجزائرية قمنا بإجراء دراسة ميدانية بـ " المكتبة الرئيسية للمطالعة العمومية لولاية أدرار، وذلك نظرا للمكانة التي تحظى بها في سياسة السلطات الوصية الموجهة لعصرنة ورقمنة شبكة المكتبات، وكذلك لما تقدمه هذه المكتبة من خدمات ومشاريع رقمية ابتكارية ريادية. جاءت مشكلة دراستنا محددة على هذا الأساس كالآتي:

- هل تحمل تجربة المكتبة الرئيسية بولاية أدرار الموجهة لتطوير وعصرنة الخدمات الرقمية في طياتها منطق وفلسفة الفضاء الرابع؟

للإجابة على هذا السؤال الرئيسي كان لابد من المرور بالتساؤلات الفرعية التالية:

- ما هو السياق النظري والمرجعيات العلمية التي ينشأ عليها مفهوم " الفضاء الرابع "؟
- كيف تعزز جائحة كوفيد 19 من فرصة اعتماد منطق وفلسفة الفضاء الرابع في المكتبات العمومية؟

- ما هي ملامح الفضاء الرابع بالمكتبات العمومية الجزائرية؟

أهداف الدراسة:

تأتي هذه الدراسة في سياق تحقيق مجموعة من الأهداف والتي ترتبط بـ:

- الوقوف على النموذج الجديد للمكتبات الذي يحمل تسمية "مكتبات الفضاء الرابع "؛
- تقديم تأصيل علمي للنظريات والمقاربات التي يقوم عليها مفهوم " مكتبات الفضاء الرابع "؛
- إبراز أثر جائحة كوفيد 19 على بيئة العمل المادية داخل المكتبات؛
- الترويج لـ " مكتبات الفضاء الرابع " كنموذج عمل جديد داخل المكتبات العمومية العربية ما بعد جائحة كوفيد 19؛
- تقريب مجتمع المكتبات العمومية الجزائرية من مفهوم " الفضاء الرابع "؛
- البحث عن الملامح التي يتواجد بها منطق الفضاء الرابع داخل المكتبات العمومية الجزائرية من خلال نموذج المكتبة الرئيسية بولاية أدرار.

منهج الدراسة:

حتى يسهل علينا معالجة مشكلة الدراسة والإلمام بجميع جوانبها، قمنا باعتماد المنهج الوثائقي والذي ساعدنا في جمع المعلومات والوثائق التي تتعرض لمشكلة الدراسة، حيث لا يمكن أن نتجاهل في البداية الدراسات النظرية والنتائج التجريبية التي تتعرض لموضوع مكتبات الفضاء الرابع، والمنطق العلمي الذي تأسست من خلاله أسس وقواعد هذا النموذج الجديد. كما اعتمدنا في إجراء الدراسة الميدانية على المنهج التحليلي والذي مكننا من تحديد المستوى الذي تقترب به المكتبات العمومية الجزائرية من مفهوم الفضاء الرابع والممارسات التي تنطوي تحته، ولمعرفة ذلك قمنا باختيار نموذج المكتبة الرئيسية للمطالعة العمومية بولاية أدرار، وذلك لعدة اعتبارات جاء توضيحها بهذه الدراسة، كما اكتفينا في محاولة معرفة مستوى تقارب هذا النموذج الجزائري من تصور " الفضاء الرابع " وفي ظل غياب شبكة مؤشرات حقيقية لخصائصه وممارساته على بعض تجارب المكتبات العالمية بالمجتمعات الغربية.

1. الأسس العلمية والمرجعية النظرية لـ " مكتبات الفضاء الرابع ":

يعود طرح مفهوم " مكتبات الفضـــاء الرابع " إلى ســـنة 2010 من طرف مجموعة من البـاحثين Jill Hurst Wahl وPaul Signorelli، و Maurice Colman (Lambé, 2012)، حيث أحدث هذا المفهوم جدلية واســـــعة بين المتخصـــصـــين في علوم المكتبات والمعلومات، تبحث في القيمة أو الغاية من توظيف هذا المفهوم في المكتبات، ولذلك فإنه يصعب علينا شرح وضبط المفهوم دون الرجوع إلى الســياق الذي ورد فيه، أو فهم المرجعيات النظرية والعلمية التي يقوم عليها.

يستقي مفهوم الفضاء الرابع شرعيته من النظرية الاجتماعية للفضاء، والتي كان عميدها الفيلســـوف الألماني " يورغن هابرماس " Jürgen Habermas ، حيث كان له الفضـــل في تطور هذه المفاهيم من خلال طرحه لمفهوم " الفضـــاء العمومي " في ســنوات الســتينات ضــمن العديد من أعماله المنجزة باللغة الألمانية والتي تم ترجمتها إلى العديد من اللغات لعل أبرزها تلك التي ترجمت إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية، حيث سمحت هذه الترجمة بتبسيطه وتقريبه من شـكل الفضـاءات المتواجدة بالوطن العربي (أوســامة، دموش، ختير، فوزية، 2021، ص.453).

سمح استخدام مفهوم « الفضاء الهابرماسي» في علم الاجتماع الحضري بأن يكسـب أبعادا مادية ملموسـة، يتمثل اسـتخدامه في كل الأشـكال الحضـارية التي تستعمل من طرف جميع سكان " المدينة " بطريقة حرة وديمقراطية، وعليه يتحدث عالم الاجتماع البلجيكي Jean Rémy عن " الأماكن الحضـــــرية الجديدة " (Thierry, Paquot, 2010, p.10) ، حيث يعتبر علماء الاجتماع " الفضـــاء العمومي على أنه " فضـــاء اجتماعي - للتعايش -، أين يتم الاعتراف بالآخر في فضاء يتميز بالتغير المستمر" (Marcus, Zepf, 2009, p.3)

يعبر عالم الاجتماع الأمريكي Ray Oldenbourg من جامعة Pensacola بـــ Floride، عن هذا الفضاء العمومي من خلال مقاربة جديدة ومفهوم جديد وهو " Third Place " والذي بدأ في توظيفه منذ 1980. (Oldenburg, s.d.)

الفضاء الأول: المنزل، يتوفر هذا الفضاء على كل وسائل العيش، الراحة

الفضاء الثاني: مكان العمل، وهو يعتبر أن هذا الفضاء هو بمثابة مكان للربح

الفضاء الثالث: هو مكان للأنس الاجتماعي، بعيد عن كل العلاقات الرسمية، يهدف إلى التخفيف من التوتر، وهو

قام العديد من الخبراء والباحثين المنتمين لحقل المكتبات بدراسة النموذج الجديد للمكتبات العمومية الذي يخضع للتحولات التكنولوجية والحضرية، حيث جاءت دراسة هذا النموذج للبحث عن إجابات للتساؤلات الكبرى التي ارتبطت بمكانة واستمرارية هذه المكتبات في الفضاء العمراني في ظل الثورة الرقمية التي جلبتها الثورة الصناعية الثالثة، وعليه تم إضافة المكتبات إلى قائمة الفضاء الثالث التي حددها " راي اولدنبورغ "، حيث تتطابق خصائص النموذج الجديد للمكتبات مع خصائص الفضاء الثالث التي حددها في مقاربته وهي (أوسامة، دموش، 2018، ص.107):

1. **الحياد؛**
2. **منظم ومسير للحياة العامة؛**
3. **فضاء للنقاش والتحاور؛**
4. **متاح في كل الأوقات؛**
5. **فضاء يتردد عليه المستخدمون بشكل منتظم؛**
6. **الشكل الهندسي المعماري الذي يسمح بولوج كافة الناس إليه؛**
7. **فضاء حيوي؛**
8. **يعتبره بمثابة " منزل ثاني "؛**

لم يذكر Ray Oldenbourg المكتبات ضمن قائمة الفضاء الثالث التي وضعها " cafés, coffee shops, bookstores, bars, hairs salons and other hangouts at the heart of the community "، وذلك يعود حسب تفسير بعض علماء الاجتماع الملازمين له والعارفين بمسيرته أنه كان يتردد على المكتبات الكلاسيكية الصامتة التي تقدم خدمات الكتاب فقط، وهو ما جعل العديد من علماء الاجتماع يدرجون الجيل الجديد للمكتبات العمومية ضمن قائمة الفضاء الثالث خاصة من خلال العمل التفصيلي الذي قدمه العالمين الأمريكيين Robert Putnam وLewis M. Feldstein حول مكتبات شيكاغو في فصل كامل في كتابهما الموسوم بـ " Better together: restoring the community American" (Robert, Putnam, Lewis M., Feldstein, 2003, p.50).

بدأنا تصور المكتبات كفضاء ثالث في التوسع والانتشار بالمجتمعات الغربية (الأوروبية والأمريكية) منذ 90، كما بدأ عداد البحوث والدراسات المقدمة لدراسة خصائص هذا النموذج الجديد الذي يطلق عليه " مكتبات الفضاء الثالث " في الارتفاع، وذلك لما يلتمسه أصحاب هذه الدراسات من تحول في مباني الجيل الجديد للمكتبات، والأدوار الاجتماعية والحضرية التي ارتبطت بها. وأمام هذا الانتشار والتوسع لهذا النموذج برزت تساؤلات جديدة لمهنيين يتخوفون من فقدان المكتبة لهويتها، وانحرافها عن خدماتها الرئيسية المتعلقة بإتاحة المعلومات، الثقافة، والتكوين، لتصبح مركزا ثقافي واجتماعي حيث يقودها هذا لتكون مكان للتنشئة الاجتماعية وهذا الطرح وحده لا يكفي.

جاء مفهوم مكتبات الفضاء الرابع في سياق هذه التساؤلات المطروحة بين المهنيين، والتي ترى بأن مكتبات الفضاء الرابع مكمل لجميع نماذج المكتبات المطورة في شكلها المادي، والتي تضمن استمراريتها ومرافقتها الدائمة للشكل الجديد للمواطنين الرقميين وكذا المهاجرين الرقميين من خلال خدمات النفاذ إلى المعلومات والمعرفة والثقافة، وضمان التعليم مدى الحياة، وتطوير المهارات.

الفضاء الأول: المنزل

الفضاء الثاني: مكان العمل

الفضاء الثالث: هو مكان للأنس الاجتماعي

الفضاء الرابع: التعلم الاجتماعي وبناء المعرفة

يعرف النموذج الجديد لمكتبات الفضاء الرابع على أنه " نموذج جديد للتعلم الاجتماعي وبناء المعرفة ومعالجتها أو مناقشتها، ونقلها بطريقة تتكيف مع الواقع التكنولوجي والاجتماعي للويب 2.0، حيث يكون الوصول إليها من خلال جميع الأجهزة والوسائط الرقمية الموجودة (أجهزة الحواسيب، اللوحات الرقمية، الهواتف الذكية...) حتى يتمكن كل مستخدم بغض النظر عن مهاراته أو مستوى معرفته وخبرته بأدوات الويب من المشاركة بفعالية، كما لا يكون هذا النموذج بالضرورة نسخة أو مرآة للمكتبات في شكلها المادي وإنما يعتمد على استغلال المساحات الجديدة التي تمكنها من الحفاظ على مهامها ومراعاة التحولات التي تحيط بها، ويعتمد هذا بالأساس على المهارات الوثائقية للمكتبي الذي يهيكل، ويربط، ويحفظ ويؤرشف المحتويات التي تعتبر مهمة ومفيدة، ويطرحها للجمهور " (Victoria, Pérés-Labourdette Lambé, 2012, p.17).

يوظف النموذج الجديد في مرجعيته لبناء الوصول إلى المعرفة عدة طرائق بعضها ذات طابع بيداغوجي، يمكن تحديدها في (أوسامة، دموش، ختير، فوزية، 2021، ص.ص.456-458):

- **نظرية التعلم الاجتماعي (Albert Bandura, 1963):** تدعم هذه النظرية مختلف الممارسات المعاصرة للتعليم والتثقيف عبر الانترنت من خلال انتشار المدونات (نشر المقالات والأخبار حول المواضيع والتفاعل)، البودكاست (انتشار التسجيلات الصوتية، المرئية)، ومنصات نشر العروض (Slideshare, Mooc, FLOT…) في شكل (PowerPoint, PDF, Word..)، وتقاسم مقاطع الفيديو (Youtube…) وغيرها.
- **نظرية التعلم الاتصالية أو المسماة بـ " نظرية التعلم الرقمي "** (Emmanuel, Duplaa, Nadia, Talaat, 2011, p.548).
- **منهجية التعلم الجذموري المستلهمة من أعمال " جيل دولوز " و" فيليكس غاتاري ":** تشير إلى أساليب التعلم واكتساب المعرفة على الشبكة، والذي يكون من خلاله للأفراد والمجموعات في مجتمع التعلم القدرة على خلق معارف في سياق معين، بحيث تصبح هذه المعارف نقاط إلتقاء يربطون أنفسهم بها، وتصلهم بشبكات أكبر داخل مجتمعاتهم (المادية أو الرقمية)، مما يجعل هذه المعرفة قابلة للمعالجة والنقاش والتفاوض بصفة مستوية بين الأقران-الخبراء.

2. حتمية إعادة التفكير في مفهوم " مكتبات الفضاء الرابع " ما بعد جائحة كوفيد 19:

مر العالم خلال الثلاثة سنوات الماضية (2020-2022) بأزمة صحية نتيجة تفشي جائحة كوفيد 19، حيث صنفت منظمة الصحة العالمية L'Organisation Mondiale de la Santé (OMS) كوفيد 19 كجائحة، وذلك لكونه أحد أخطر الفيروسات التي تنتمي الى عائلة كورونا، والتي لها القدرة على التناقل والعيش عن طريق قطرات اللعاب، أو المخاط الذي ينتج عن السعال والعطس، وقد أثبتت التجربة التي مر بها العالم صحة هذه الافتراضات حيث عرفت هذه الجائحة انتشارا واسعا وسريعا مما أودى بحياة الملايين من الأفراد، كما أصبحت تهديدا صريحا للمجتمعات خاصة كبار

السن منهم، ومرضى القلب، والربو، والسكر، والسرطان وغيرها من الأمراض المزمنة (IFLA, n.d.).

دفعت الطريقة التي ينتشر بها كوفيد 19 كل الدول إلى إعادة التفكير في استخدامات المواطنين للأماكن العامة، ليسود منطق جديد على المستوى الدولي يعرف " التباعد الاجتماعي "، والذي ينظر له كآلية للتقليل والحد من انتشار هذه الجائحة في ظل غياب علاج طبي حقيقي. شملت سياسات التباعد الاجتماعي جميع مجالات الحياة بما فيها الثقافية، حيث خضعت أغلب المؤسسات الثقافية في العالم وعلى رأسها المكتبات العمومية إلى آليات تطبيق التباعد الاجتماعي، والتي تمثلت في قرار الغلق الكلي، أو الحد والتقليل من النشاطات والتجمعات، وهو ما خلق تذبذب في عمل هذه الفضاءات، أو في علاقتها بالجمهور، ومن بين أهم المؤشرات التي تعكس توتر هذه العلاقة داخل المكتبات نذكر ما يلي (Chrysbib, 2020):

أعادت هذه القرارات الناتجة عن كوفيد 19 خلق تباعد وفجوة بين هذه الفضاءات ومواردها والجمهور والتي لطالما سعى المكتبيين إلى التقليل منها ومحاربتها، حيث يجد القراء خاصة بالمجتمعات السائرة في طريق النمو كل ما

يدعم بحوثهم ودراساتهم في مجموعات هذه المكتبات، كما شكلت هذه المكتبات ولسنوات فضاءات للتنشيط والترفيه، وأماكن للتنشئة وتكوين العلاقات. شكلت شبكة الأنترنت وقواعد البيانات العالمية خلال مرحلة كوفيد 19 البديل القوي للباحثين والطلبة لإنجاز بحوثهم العالقة، حيث استغل الناشرون التجاريون العالميون فرصة غياب المكتبات العمومية في البيئة الرقمية خاصة بدول العالم الثالث لمرافقة القراء، وذلك من خلال الاتاحة المجانية ولو بصفة مؤقتة للإنتاج الفكري العلمي، والتقني، والأدبي.

تجعلنا هذه الوضعية التي تمر بها المكتبات العمومية في الدول النامية نفكر بجدية في الطريقة التي يتم من خلالها تكييف خدمات المكتبات العمومية مع البيئة الرقمية باعتبارها فضاء رابع يتماشى مع طبيعتها المادية كفضاء ثالث.

3. ملامح الفضاء الرابع بالمكتبات الرئيسية للمطالعة العمومية الجزائرية: المكتبة الرئيسية المجاهد المرحوم الهاشمي قويدر لولاية أدرار نموذجا

نحاول من خلال هذا العنصر البحث عن ملامح الفضاء الرابع في تطبيقات المكتبات العمومية الجزائرية، حيث يصعب حقيقة إيجاد شبكة مؤشرات دقيقة تصف هذا النموذج الجديد، ولذلك سنكتفي ببعض المشاريع الرقمية الفاعلة المستلهمة من تجارب بعض المكتبات بالمجتمعات الغربية، وقد جاء تحديدها في العمل الذي قدمه مجموعة من الباحثين تحت عنوان La bibliothèque quatrième lieu, espace physique et/ou en ligne d'apprentissage social : un nouveau modèle de circulation des savoirs.

نركز بهذه الدراسة على النموذج الجديد للمكتبات العمومية المنجز من طرف وزارة الثقافة والفنون والذي يحمل تسمية " المكتبات الرئيسية للمطالعة العمومية "، حيث يشكل هذا النموذج الجيل الجديد للمكتبات والذي يتم التعويل عليها لتفعيل جميع فضاءات الكتاب، والقراءة والمطالعة على المستوى الوطني، كما أنها تأخذ على عاتقها مشاريع عصرنة وتشبيك شبكة مكتبات المطالعة العمومية، وكذا تعزيز الثقافة الرقمية التي تمكن المواطنين من التعايش مع البناء المعاصر للمجتمعات التي تعرف بمجتمعات المعلومات؛ ومن

النماذج القوية التي نعتمد عليها بهذه الدراسة وهو المكتبة الرئيسية للمطالعة العمومية المجاهد المرحوم الهاشمي قويدر لولاية أدرار، وذلك نظرا إلى المكانة التي تحظى بها اليوم في شبكة المكتبات الرئيسية 42 التي تمتلكها الجزائر، والتي تعود إلى المشاريع والخدمات الرقمية التي تمتلكها، والتي جعلتها تلفت انتباه السلطات الوصية لتجعل منها مركزا لإجراء التدريب والتربصات الميدانية للمكتبيين في مجال تشبيك وعصرنة خدمات المكتبات العمومية.

1. عصرنة خدمات المكتبات عبر مواقع الويب

1.1. مساحة خاصة بإتاحة وإعارة الكتب، والجرائد

تتوفر المكتبة الرئيسية للمطالعة العمومية على موقع ويب، تم تصميمه من طرف فريق عمل يمزج بين المكتبيين والمهندسين والتقنيين في الاعلام الآلي، وقد تم تخصيص مساحة لهذه الخدمة بموقعها إلا أنه لا يتوفر فعليا على خدمة الاتاحة والاعارة للكتب في الشكل الرقمي، وذلك يعود إلى طبيعة المجموعات الوثائقية التي تتوفر عليها المكتبة والتي تصطدم مع إشكالية حقوق النشر والتأليف.

الصورة رقم 1 : خدمة الفهرس والاعارة بالمكتبة الرئيسية لولاية ادرار

الصورة رقم 2: خدمة حجز الكتب بالمكتبة الرئيسية لولاية ادرار

يســـتمر غياب مثل هذه الخدمات في ظل غياب صـــناعة حقيقية للكتاب الرقمي، وتعاون حقيقي بين الناشـــرين والمكتبات، ولذلك تســـتخدم أغلب المكتبات المســاحات المخصـصــة للإتاحة والاعارة للتعريف بشــروط الإعارة في فضـــاء المكتبة كما هو الحال بالعديد من المكتبات الرئيســـية للمطالعة العمومية والتي تحاكي بشـــكل كبير المكتبة في شـــكلها المادي، وتتفوق مكتبة أدرار في هذا الجانب عن الكثير من المكتبات الرئيســـية من خلال اتاحة الفهرس الذي يســـمح بالوصـــول إلى البيانات الببليوغرافية للمجموعات، وكذلك تمكين القراء من خدمة حجز الكتاب، لتحاول بذلك تقريب جمهور المكتبة أكثر من المعنى الحقيقي لهذه الخدمات وتسمياتها.

2.1. مســاحة خاصــة لعرض أجندة البرامج والنشــاطات الثقافية والتاريخية، والترفيهية بالمنطقة"، تقدم من خلالها المكتبات خدمات تتعلق بـ:

أجندة البرامج والنشاطات بمكتبات الفضاء الرابع	الموقع الالكتروني للمكتبة	
	متوفر	غـــيـــر متوفر
أجندة برامج النشـــاطات والتظاهرات والمهرجانات الثقافية والفنية والعلمية والترفيهية بالولاية		X
معلومات حول تموقع وتواجد المؤسسات الثقافية		X
معلومات حول القاعات والمركبات الرياضـــية، والجمعيات الرياضية		X
معلومات حول تاريخ المنطقة ومعالمها		X

التعريف بالمدينة والأماكن السياحية المتواجدة بها		X
معلومات حول المنتزهات والحدائق والأنهار المتواجدة بها		X
معلومات حول الأسواق المتواجدة بالولاية		X

تتعدم جميع هذه الخدمات التي تدعم مكانة المكتبات الرئيسية في الفضاء العمومي الرقمي على الرغم من أن المشروع وما يحمله من خصائص في الفضاء العمراني يشجع على تعزيز مكانتها وادوارها في الفضاء العمومي المادي، وهو ما تم التأكيد عليه في الكثير من الملتقيات والمؤتمرات بهذه المكتبات، كما أن هذه الخدمات تدعم التوجهات العالمية المسطرة للمكتبات العمومية في استمراريتها وشرعيتها أمام العزوف الذي بدأت تسجله وتراجع التردد على فضاءاتها وخدماتها أمام ما باتت توفره الانترنت والويب الاجتماعي.

3.1. مساحة لتمكين المواطنين من الحقوق المدنية:

لا يتوفر موقع الويب الخاص بالمكتبة الرئيسية لولاية أدرار على مساحة تدعم وتمكن المواطنين من مختلف الشرائح (الأطفال الصغار، المتمدرسين، الشباب الجامعيين، المسنين، ذوي الاحتياجات الخاصة، المقيمين الجدد...) من حقوقهم المدنية.

4.1. مساحة خاصة بـ "الممارسات اليومية للمواطنين":

تشمل هذه المساحة جميع الخدمات المتعلقة بالممارسات اليومية للمواطنين والتي يمكن تمثيلها في:

خدمات تتعلق بالممارسات اليومية للمواطنين	الموقع الالكتروني للمكتبة	
	متوفر	غير متوفر
معلومات حول البلديات المتواجدة بالولاية	x	
مراكز الخدمات الاجتماعية بالولاية		x
معلومات حول الجمعيات، وشروط الانخراط فيها، أو إجراءات إنشاءها		x
معلومات حول المستشفيات والعيادات العمومية والخاصة الموجودة بالولاية		x
معلومات حول جميع الصيغ السكنية، وكيفية الحصول عليها		x
خريطة لجميع الأماكن والشوارع وسائل النقل العمومية (الحافلات، الترامواي...)		x
خدمات الوساطة الاجتماعية والقضائية، والقانونية		x

نلحظ من خلال مواقع الويب غياب جميع هذه الخدمات المتعلقة بالحياة العامة والممارسات اليومية للمواطنين، ما عدا خدمة البلدية وإتاحة موقعها الذي تتوفر عليه المكتبة كما هو موضح في الصورة رقم 03 أسفله، وهو ما يعكس فعلا غياب جوهر الفضاء الرابع في تصور هذه المكتبة.

الصورة رقم 03: مساحة خاصة بالممارسات اليومية للمواطنين بمكتبة أدرار

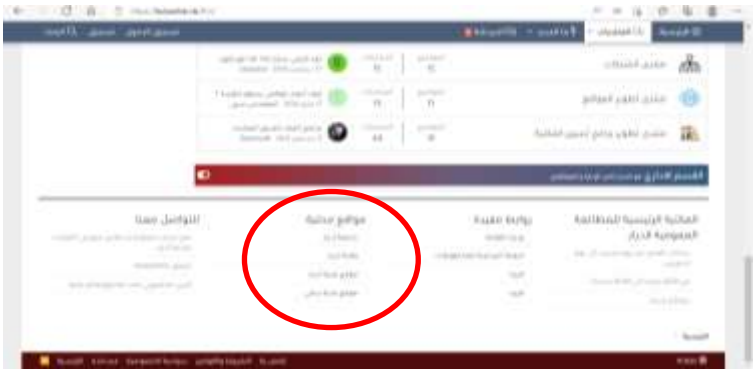

2. **إنشاء وتصميم نافذة المعرفة (سؤال / جواب):**

تتوفر المكتبة الرئيسية للمطالعة العمومية بأدرار على خدمة " اسأل مكتبي " أو خدمة " اتصل بنا "، غير أنها لا ترتقي إلى مستوى الخدمة المقصودة بنافذة

المعرفة " سؤال / جواب "، حيث يقوم المستخدمون والرواد بطرح الأسئلة سواء تعلقت هذه الأسئلة باحتياجات وثائقية أو لطلب إرشادات أو معلومات عامة، ليقوم المكتبيون بالإجابة على هذه التساؤلات في ظرف زمني لا يتجاوز 72 ساعة.

3. **اعتماد قاعات التدريس على الخط**:

رغم ما تحققه المكتبة الرئيسية بأدرار من تقدم ملحوظ في مجال تطوير وعصرنة الخدمات الرقمية بالمكتبة، إلا أن خدمة تخصيص قاعات للتدريس عن بعد تبقى بعيدة عن تطلعاتهم.

4. **مرافقة ودعم المشاريع التطوعية عبر الانترنت**:

تساهم المكتبة الرئيسية لولاية أدرار عبر موقعها الالكتروني، أو من خلال مواقع التواصل الاجتماعي في مرافقة ودعم المبادرات والمشاريع التطوعية، واستقطاب المنظمات والجمعيات التطوعية لمواجهة تحديات التنمية، وقد نظمت على إثر ذلك العديد من اللقاءات والأيام الدراسية من بينها " مجالات العمل الخيري وإسهامات المرأة في تفعيلها ونجاحها " تحت شعار قوله تعالى " وافعلوا الخير لعلكم تفلحون " في 27 أبريل 2019.

5. **تنظيم وتنشيط التظاهرات، والورشات، والمسابقات العلمية والثقافية والفنية في الفضاء الافتراضي**:

تعمل المكتبة الرئيسية لولاية أدرار على تنظيم المسابقات والتظاهرات العلمية والثقافية والفنية والترويج لها عبر الفضاء الرقمي، وترتبط هذه التظاهرات والنشاطات أو المسابقات في الغالب بالمناسبات الثقافية، والتاريخية، والدينية التي ترتبط بالجزائر، أو بانتمائها القاري، والإقليمي، والعالمي، ويمكن تحديد هذه النشاطات والمسابقات على المستويات التالية:

1.5. نشاطات وتظاهرات، ومسابقات ترتبط بالمناسبات الإقليمية والدولية:

الحدث	التاريخ	نشاط المكتبة
اليوم العالمي للمرأة	07 مارس	– تقديم معارض للتراث المحلي (اللباس، الصناعات التقليدية والحرفية...)؛ – زيارات أثرية؛ – ندوات تحسيسية للحفاظ على البيئة والموروث الثقافي المادي واللامادي (العمران، الشعر والأحكام الشعبية، اللباس...)؛ – تنظيم ملتقيات حول صناعة الكتاب؛ – ورشات حكم وعبر من التراث الثقافي؛ – تنظيم ملتقيات حول يوم الطفل؛
الشهر العالمي للتراث	18 افريل – 18 ماي	
اليوم العالمي للكتاب وحقوق المؤلفين	23 افريل	
اليوم العالمي للطفولة	01 جوان	
اليوم العالمي للبيئة	05 جوان	

2.5. التظاهرات الثقافية – العلمية والاجتماعية على المستوى المحلي:

أ. الأعياد والمناسبات التاريخية الرسمية:

تحرص المكتبة في برامجها على تنظيم الأحداث التاريخية والأعياد الوطنية البارزة، تمجيدا للثورة التحريرية، وغرس القيم والروح الوطنية، حيث تتبنى هذه البرامج العديد من النشاطات لعل من أهمها ما يلي:

الحدث	التاريخ	نشاط المكتبة
ذكرى اندلاع الثورة التحريرية	01 نوفمبر	– تنظيم معرض للكتب والصور التاريخية؛ – عقد ملتقيات وندوات حول الثورة والشخصيات الثورية؛ – مسابقات في التاريخ (الشريط الوثائقي، القصة، الرواية، الشعر، العمل المسرحي...)؛ – عرض أفلام ثورية.
عيد الاستقلال والشباب	05 جويلية	
عيد النصر	19 مارس	
مجازر 08 ماي 1945	08 ماي	
اليوم الوطني للشهيد	18 فيفري	

ب. الأحداث الثقافية – العلمية والاجتماعية:

تهدف المكتبة من خلال هذه المناسبات إلى تثمين التراث الثقافي المحلي، وإحياء العادات والتقاليد، والتشجيع على التنوع الثقافي بهدف خلق نمط ثقافي

داخل المجتمع يسمح للأفراد والجماعات بالتعايش داخله، ولعل من أبرز هذه المناسبات التي تحرص المكتبة على إحيائها ما يلي:

الحدث	التاريخ	النشاط
يوم العلم	16 افريل	– تنظيم ملتقيات، ندوات حول المفكرين الجزائريين؛
الاحتفال باليوم الوطني للتراث الأمازيغي	مقرر في 12 يناير	– زيارة بيداغوجية لأقسام المدارس؛ – المكتبة خارج الجدران في الأماكن العمومية؛
يوم الطالب	19 ماي	– تنظيم ورشات (الرسم، التلوين، الكتابة، اللغات، الإعلام الآلي...)؛

ج. المناسبات الدينية:

تحرص المكتبة الرئيسية لولاية أدرار على تنظيم الأحداث والمناسبات الدينية البارزة والمتعارف عليها داخل الأوساط الاجتماعية، حيث يشكل الخطاب الديني مصدر قوة في المجتمع الجزائري، وعليه تسعى إلى جلب العديد من الفئات من مختلف الطبقات الاجتماعية خلال هذه المناسبات الدينية والتي تتمحور أغلبها في إحياء ليالي رمضانية، أو الاحتفال بالمولد النبوي الشريف.

استطاعت المكتبة من خلال هذه النشاطات طيلة عقد من الزمن أن تخلق لنفسها مكانة في الفضاء العمراني أو الفضاء العمومي المادي، ولكننا نتساءل هنا عن تغييب هذه المكتبة للعديد من الخدمات التي ترتبط بأجندة البرامج والنشاطات الثقافية ولحياة العامة والممارسات اليومية للمواطنين على موقعها الالكتروني كما بينا ذلك سابقا في المساحات المخصصة لذلك في نموذج " مكتبات الفضاء الرابع ".

6. بناء الموارد عبر الانترنت باعتماد البيانات المفتوحة:

تقوم المكتبة الرئيسية لولاية ادرار بتطوير خدماتها الرقمية باستخدام البيانات المفتوحة، وذلك من خلال مشروع خارطة شبكة المكتبات الرئيسية للمطالعة العمومية في الجزائر مرفقة ببعض الاحصائيات. يبقى استغلال هذه البيانات المفتوحة في تطوير مواردها محدود ولا يغطي العديد من الخدمات الأخرى الممكنة كتحديد نقاط بيع الكتب، والصالونات، والمهرجانات،

والموزعين على الخريطة، كما أنه لا يتم تحيين هذه الخارطة ومتابعتها بشكل مستمر وهو ما نلتمسه في المعطيات المقدمة للكثير من المكتبات بالمشروع.

الصورة رقم 04: استخدام تقنيات الموارد المفتوحة بمكتبة ادرار

7. **بناء أرصدة تراث الويب**: لا تأخذ المكتبة المدروسة في سياستها تطوير خدماتها الموجهة نحو أرشفة مواقع الويب وبناء أرصدة تراث الويب.

8. **تطوير تكنولوجيات وتطبيقات الأجهزة المحمولة**:

تشكل تجربة المكتبة الرئيسية لولاية ادرار استثناء في هذا المجال، حيث استطاعت هذه الأخيرة أن تساهم في تطوير نظام لتسيير معطيات المكتبة يتضمن عدة أنظمة تأخذ بعين الاعتبار العناصر التالية:

نظام تسيير ومتابعة القراء: حيث يسمح هذا النظام بمتابعة دخول وخروج القراء، وذلك من خلال تطبيق مربوط بقاعدة البيانات والتي تمكن أعوان الأمن من التعرف على هوية القارئ عند الدخول إلى المكتبة، ومعرفة مدة صلاحية بطاقة الانخراط. يتحصل القراء على هذه البطاقة من خلال التسجيل عبر هذا النظام وإدخال رقم الهاتف فقط، وذلك لإشعار القارئ عبر رسالة نصية SMS بعد طبع بطاقته. تم تزويد بطاقة القارئ بتقنيات رقمية جديدة كـــــ " تقنية RFID "، وتقنية Qr code، وتقنية Code barre.

نظام تسيير الفضاءات: يسمح هذا النظام بمتابعة جميع معطيات فضاء الانترنت، فضاء الرفوف المفتوحة، فضاء المطالعة، وفضاء الطفل، والذي

يســـــمح بمعرفة تردد القراء وحركتهم داخل هذه الفضـــــاءات، مما يمكن المكتبة من معرفة الفضاءات التي يتردد عليها القراء بكثرة.

- نظام الإعارة الذاتية: يمكن هذا النظام القارئ من خدمة نفســه بنفســه من خلال تقنية Code barre، حيث يقوم القارئ بتمرير Code barre الخاص ببطاقة القارئ تحت قارئ Code barre، ثم يقوم تمرير الكتاب من جهة Code barre على الجهاز؛
- نظام تسـيير الأرصـدة الوثائقية: يتم من خلال هذا النظام جرد وفهرسـة الرصيد الوثائقي للمكتبة؛
- نظام الإشارات الرقمية؛
- نظام الاحصائيات؛

نظرا لتنوع هذه الأنظمة وصعوبة إدارتها والتحكم فيها بهذا الشـكل قامت المكتبة بإعادة دمجها وتطويرها ضـمن نظام واحد والذي يتم العمل عليه حاليا تحت تسمية PLMS-FENNEC. كما يوجد العديد من المشاريع على مستوى المكتبة قيد التنفيذ نذكر منها مشـــــــروع المكتبة الذكية، تطوير ألعاب الكترونية ترويجية تشجع على المطالعة.

9. النشاط على مواقع التواصل الاجتماعي:

ترهن عملية تنشيط وإدارة مواقع التواصل الاجتماعي في الغالب بمدراء هذه المكتبات الرئيسية الذين يحاولون مراقبة كل ما ينشر من نشاطات وبرامج المكتبات، وهذا ما يفسر بُعدُ هذه المكتبات في الكثير من الأحيان عن جميع أشكال التسويق الرقمي والوساطة الرقمية وشروطهما على مواقع التواصل الاجتماعي. تتوفر المكتبة الرئيسية لولاية أدرار على صفحات رسمية على العديد من مواقع التواصل الاجتماعي والتي يمكن تصنيفها حسب الوظائف إلى:

- التدريب والتعليم (YouTube).
- تثمين الحقائق والأحداث من خلال الصور (Facebook, Instagram)
- تثمين الخبرات (Twitter, Slack).

على الرغم من نشاط المكتبة عبر مختلف تطبيقات الويب الاجتماعي إلا أنها تفتقر إلى التفاعل مع الجمهور وهذا ما يبرز من خلال عدد الإعجابات، أو التعليقات التي تحصدها هذه الصفحات، وكذلك على مستوى تقاسم هذه المنشورات بين المتابعين. يؤكد هذا على غياب استراتيجية لإدارة هذه الصفحات والترويج لخدماتها في البيئة الرقمية، أو وجود تصور لممارسات " الوساطة الرقمية "، هذه البيئة التي تبنى على أساس التفاعل والتي تتطلب مراعاة الشروط التالية:

- المواقيت المناسبة لنشر المحتوى؛
- طبيعة الجمهور المستهدف
- طريقة عرض هذا المحتوى.

□

خاتمة

حاولنا من خلال هذه الدراسة أن نبيّن مدى استيعاب مجتمع المكتبات الجزائرية لمفاهيم مستجدة للفضاء العمومي، أو بالأحرى مدى إنخراطها في منظومة مفاهيميّة أطلق عليها بالفضاء الرابع، والذي زادته الظروف التي مرّ بها العالم خاصة مع جائحة كوفيد **19**.

أعطت مرحلة كوفيد **19** دفعة قوية للمكتبات العمومية للتفكير بشكل جدي في البديل الرقمي، خاصة أمام الغلق والتباعد الاجتماعي الذي مرت به، ولذلك نعرض بهذه الدراسة الشكل الحالي التي تتواجد به المكتبات الرئيسية في الفضاء الرقمي من خلال نموذج المكتبة الرئيسية لولاية أدرار، وفي نفس الوقت هو تساءل لمرحلة ما بعد كوفيد **19**.

تشير معطيات هذه الدراسة إلى أنه لا يوجد إرادة سياسية قوية لنشاط هذه المكتبات في الفضاء الرقمي، إذ لا نجد مشاريع رقمية حقيقية مع عودة نشاط هذه المكتبات في الفضاء المادي ما بعد كوفيد **19**، ويعود ذلك في نظرنا إلى علاقة المكتبات بالفضاء الرقمي والتي لا تزال مرهونة في منظور مجتمع المهنيين وأصحاب القرار بالكتاب، والقراءة والمطالعة والتي يتم التسويق لهما من خلال مفهوم المكتبات الرقمية أو المكتبات الافتراضية، ومثل هذه المشاريع تصطدم عادة مع واقع صناعة الكتاب والكتاب الرقمي الذي لا يزال غامضا ومعقدا في المجتمعات التقليدية والسائرة في طريق النمو.

يتم التركيز بهذه الورقة العلمية على مفهوم الفضاء الرابع كمورد جديد لإعادة تصور علاقة المكتبات بالفضاء الرقمي، والذي يخرج عن كونها مجرد فضاءات لعرض الخدمات الوثائقية، وقد أثبت التجربة الميدانية لشبكة المكتبات الرئيسية الجزائرية عن انفتاح هذه الأخيرة في برامجها ونشاطاتها على خدمات تمس مختلف مناحي الحياة الاجتماعية والثقافية للمواطنين، وهو ما مكنها من التموقع الجيد في الأوساط الاجتماعية، ولذلك يمكن أن يمتد هذا الانفتاح الذي يخرج عن دورها ومكانتها المرهونة بالكتاب فقط في الفضاء الرقمي تحت غطاء ما يعرف بـ " مكتبات الفضاء الرابع ".

قائمة المراجع:

1. دموش، أوســـامة. (2018). المفهوم الجديد للفضـــاء العمومي وتطبيقاته بالمكتبات العمومية (أطروحة دكتوراه)، قسم علم المكتبات والمعلومات، جامعة وهران 1، الجزائر.
2. دموش، أوسامة، ختير، فوزية. (2021). مكتبات الفضاء الرابع على الخط: نحو انشاء مرجعية نظرية لعلاقة المكتبات بالانترنت. مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ. 17 (01)، 450-473. https://www.asjp.cerist.dz/en/article/160707

3. Chrysbib. (2020, September 10). Le 3ème lieu est-il covid-compatible?. Louise et les canards sauvages. https://biblouisemichel.wordpress.com/2020/09/10/le-3eme-lieu-est-il-covid-compatible/

4. Duplàa, Emmanuel, Talaat, Nadia (2011), Connectivisme et formation en ligne. Etude de cas d'une formation initiale d'enseignants du secondaire en Ontario. Distances et savoirs, 9 (4), 541-564. URL : https://www.cairn.info/revue-distances-et-savoirs-2011-4-page-541.htm (Consulté le 18.12.2019).

5. IFLA. (2020, January 23). Le covid-19 et les bibliothèques dans le monde. IFLA. (n.d.). https://www.ifla.org/fr/le-covid-19-et-les-bibliotheques-dans-le-monde/#comprendre

6. Putnam, Robert. Feldstein, M. Lewis. (2003). Better together: restoring the community American. New York: Simon et Schuster, URL: https://books.google.fr/books?id=qledfXzFImcC&pg=PA50&lpg=PA50&dq=third+place+library+robert+putnam&source=bl&ots=i15n18qkyp&sig=24Ty7Ae1_tvXtM4PFhipzvHiao&hl=fr&sa=X&ved=0ahUKEwijkrfm9K7TAhVECsAKHfyMAFEQ6AEIPDAD#v=onepage&q=third%20place%20library%20robert%20putnam&f=false

7. Ray, Oldenburg (1999). The great good place: cafés, coffee shops, bookstores, bars, hair salons, and other hangouts at the heart of a community. New York : Marlowe & Campany.

8. Thierry, Paquot (2010), L'espace public. Paris : la découverte.

9. Victoria, Pérés-Labourdette Lambé (2012), La bibliothèque quatrième lieu, espace physique et/ou en ligne d'apprentissage social : un nouveau modèle de circulation des savoirs. France : Agence Gutenberg 2.0.

10. Zepf, Marcus (2009), L'espace public en expérimentation : penser et réinterpréter l'urbain en permanence. Tracés : Revue de Sciences Humaines, ENS Editions, no 13-14. URL : https://hal.archives-ouvertes.fr/halshs-00425455/document.